سلسلة محاضرات مقياس "المسرح العربي"

السداسي الخامس – تخصص فنون درامية

إعداد: د. بولنوار مصطفى

المحاضرة الرابعة: المسرحية الشعرية العربية (من الكلاسيكية إلى الحداثة)

تمهيد: جدلية الشعر والدراما

تشكل "المسرحية الشعرية (Poetic Drama) "منطقة اشتباك فني ونقدي شائكة بين جنسين أدبيين عريقين: الشعر (باعتباره تدفقاً وجدانياً ذاتياً) والدراما (باعتبارها صراعاً موضوعياً خارجياً). ورغم أن المسرح ولد في مهده الإغريقي "شعراً" (عند إسخيلوس وسوفوكليس)، إلا أن الانفصال حدث تدريجياً مع طغيان النزعة الواقعية والنثرية.

في هذه المحاضرة، سنبحث في مفهوم المسرح الشعري، وإشكالية المصطلح، ومراحل تطوره في الأدب العربي من "محاولات التبيء" إلى "النضج الحداثي."

أولاً: التأصيل المفاهيمي

١ .مفهوم المسرحية الشعرية:(Théâtre Poétique)

يعرّفها "المعجم المسرحي" (ماري إلياس وحنان قصاب) بأنها: "تسمية يقصد بها المسرحية المكتوبة شعراً أو بلغة نثرية لها طابع شعري، وتستخدم اليوم للتمييز بين المسرح المكتوب شعراً والمسرح المكتوب نثراً".1

يستند هذا التعريف إلى العودة للأصل الأرسطي، حيث صنف أرسطو الدراما (المحاكاة) ضمن "فنون الشعر". وظل هذا الارتباط وثيقاً حتى عصر النهضة الأوروبية (الكلاسيكية

الجديدة) مع كورني وراسين، قبل أن يحرر موليير الكوميديا نحو النثر، ويمزج شكسبير بينهما بعبقرية، لتستقر الدراما الحديثة (إبسن، تشيخوف) في أحضان النثر.

٢ .إشكالية المصطلح: الفرق بين "المسرح الشعري" و"الشعر المسرحي:"

من الضروري للباحث الأكاديمي التمييز بين مصطلحين غالباً ما يقع الخلط بينهما، وقد أشار إليهما الناقد الإنجليزي **T.S. Eliot** والناقد المصري **محمد مندور**:

- **أ- المسرح الشعري :(Poetic Drama)** هو" **مسرح** "أولاً. يخضع لشروط اللعبة المسرحية (الصراع، نمو الشخصيات، الحبكة)، وتكون اللغة الشعرية فيه "وسيلة" درامية وليست غاية جمالية. الشعر هنا "وظيفي" يختفي خلف الفعل الدرامي.
- **ب- الشعر المسرحي :(Dramatic Poetry)** هو" **شعر** "أولاً. قصائد تعتمد على تعدد الأصوات أو الحوار (مثل قصائد لورد بايرون وشيلي الرومانسية)، لكنها تفتقر للبناء الدرامي الصالحة للتمثيل. تسمى أحياناً" **مسرح القراءة**(Closet Drama) "، لأنها كتبت لتقرأ لا لتمثل، حيث تطغى "الغنائية (Lyricism) "على "الدرامية"، فيتوقف الفعل ليتحدث الشاعر بصوته هو لا بصوت الشخصية.

ثانياً: نشأة المسرح الشعري العربي (دوافع الاستنبات)

عندما حاول الرواد العرب "استنبات" المسرح، وجدوا في "الشعر" جسراً مثالياً لتقريب هذا الفن الغريب إلى الذائقة العربية التي طالما مجدت الشعر (ديوان العرب).

يعلل الباحث عز الدين جلاوجي ذلك بقوله: "لعل أهم الأسباب الدافعة إلى ذلك، السعي نحو تقليد الغرب واستلهام ما عندهم، وميل الإنسان العربي إلى الغنائية، فالعرب أمة الشعر والارتباط بالسير الشعبية التي ارتبطت بالشعر والغناء".2

لذا، لم يكن غريباً أن يمزج مارون النقاش عروضه بألحان وأشعار، وأن يعتمد مسرح أبو خليل القباني على "الأوبريت" والغناء الاستعراضي، فالشعر كان "تأشيرة الدخول" للمسرح إلى الوجدان العربي.

ثالثاً: مراحل تطور المسرحية الشعرية العربية

يمكن تقسيم تاريخ المسرح الشعري العربي إلى ثلاث مراحل مفصلية، تعكس تطور الوعي الفني من "الشكل العمودي" إلى "الشعر الحر:"

المرحلة الأولى: التأسيس والتجريب (القرن ١٩)

رائدها :**الشيخ خليل اليازجي**) لبنان.(

- **العمل الرائد** :مسرحية" **المروءة والوفاء**) "كتبت 1876 / مثلت 1888[3].(
- **الخصائص** :تُعد أول نص مسرحي كتب شعراً في الأدب العربي الحديث. اعتمد اليازجي على "الشعر العمودي" (الخليل)، واستقى موضوعه من التراث العربي (النعمان بن المنذر). عاب النقاد على هذه المرحلة طغيان "الخطابة" وضعف البناء الدرامي، فالشخصيات كانت تتحدث كشعراء جاهليين أكثر منها شخصيات درامية حية[4].

المرحلة الثانية: النضج الكلاسيكي (عصر الشوقيات)

رائدها: أمير الشعراء أحمد شوقي (مصر).

يُعتبر الأب الحقيقي للمسرح الشعري العربي، حيث منحه الشرعية الأدبية. كتب شوقي 7 مسرحيات (6 تراجيديات وواحدة كوميدية)، تميزت بـ:

1. **الموضوعات** :استلهم التاريخ (المصري القديم، الإسلامي، والعربي).
2. **اللغة** :شعر عمودي رصين، غنائي الطابع.

3. **أهم الأعمال وتواريخها:**

- *مصرع كليوباترا*.(1927)
- *مجنون ليلى*.(1931)
- *قمبيز*.(1931)
- *علي بك الكبير*) نشرت 1932.(
- *عنترة*.(1932)
- *الست هدى*) ملهاة اجتماعية، 1932.(
- **تنبيه أكاديمي :**(مسرحية" **أميرة الأندلس** "لأحمد شوقي كُتبت **نثراً** وليس شعراً، وهذا خطأ شائع يجب الانتباه له[5].

خليفته: عزيز أباظة.

سار على نهج شوقي (المدرسة الكلاسيكية)، وكتب مسرحيات تاريخية بنفس شعري فخم، منها:

- *العباسة*.(1947)
- *الناصر*) (1949) عن عبد الرحمن الناصر في الأندلس[6].(
- *شجرة الدر*.(1950)

المرحلة الثالثة: الحداثة والتجديد (الشعر الحر / التفعيلة)

رائدها: صلاح عبد الصبور (مصر).

يطلق عليها عز الدين جلاوجي "مرحلة النضج والكمال". في هذه المرحلة، حدثت ثورة مزدوجة:

1. **ثورة الشكل** :التخلي عن "العمود الشعري" (بحر وقافية موحدة) لصالح "شعر التفعيلة" (الشعر الحر)، مما منح الحوار مرونة درامية هائلة وقربه من لغة الحياة اليومية دون التنازل عن الشاعرية.

2. **ثورة المضمون** :الانتقال من "التاريخ المجيد" إلى "التاريخ كقناع" لطرح قضايا سياسية وفلسفية معاصرة (الصراع بين السلطة والمثقف).

أبرز أعمال صلاح عبد الصبور المسرحية:

1. **مأساة الحلاج** :(1964/1965) درة المسرح الشعري الحديث. تناول فيها شخصية المتصوف الحسين بن منصور الحلاج، طارحاً قضية "الكلمة" ومسؤولية المثقف في مواجهة السلطة الغاشمة. تأثر فيها بوضوح بمسرحية إليوت "جريمة قتل في الكاتدرائية."

2. **مسافر ليل** :(1968) مسرحية قصيرة تنتمي لمسرح العبث (Absurd) والكوميديا السوداء.

3. **الأميرة تنتظر.**(1969)

4. **ليلى والمجنون** :(1971) إعادة قراءة عصرية لقصة قيس وليلى، برؤية سياسية تنتقد الواقع العربي بعد نكسة 1967[7].

5. **بعد أن يموت الملك** :(1973) تعالج جدلية السلطة والخلافة[8].

خلاصة واستنتاج

لقد انتقلت المسرحية الشعرية العربية من مرحلة" **القصيدة الممسرحة** "مع اليازجي، حيث كان الشعر هو الغاية، إلى مرحلة" **المسرح الغنائي** "مع شوقي، حيث تعايش الشعر والدراما، وصولاً إلى" **الدراما الشعرية** "مع صلاح عبد الصبور، حيث ذاب الشعر في

نسيج الحدث، وأصبحت الصورة الشعرية معادلاً موضوعياً للصراع النفسي والسياسي، محققة بذلك المعادلة الصعبة التي طالما نادى بها إليوت.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1. **ماري إلياس وحنان قصاب** :*المعجم المسرحي*، مكتبة لبنان ناشرون، 1997.
2. **عز الدين جلاوجي** :*بنية المسرحية الشعرية في الأدب المغاربي المعاصر*، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، 2009.
3. **أحمد شوقي** :*الأعمال المسرحية الكاملة*) خاصة مقدمات المسرحيات.(
4. **صلاح عبد الصبور** :*حياتي في الشعر*) كتاب نثري يوضح رؤيته للمسرح.(
5. **محمد مندور** :*المسرح الشعري*) دراسات نقدية.(
6. **د. علي الراعي** :*المسرح في الوطن العربي*.